صرخات تحت قبة الأقصى

شعر

صرخات تحت قبة الأقصى

شعـر

أحمد سويلم



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الإبداعية)

صرخات تحت قبة الأقصى (شعر)
أحمد سويلم

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان : **محمود الهندى**
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د.سمير سرحان

الفتنة

جاءنى وعدُ عَدُوِّى . . أن أسالِمْ
زوِّقَ الأوراقَ . . والأشواقَ
ـ حرَّى ـ والمزاعمْ
يا أبا موسى احترسْ . . .
أنتَ أسلمتَ سلاحى . . وابنَ هاشمٍ
للذى أغراك بالوعدِ
وباع الدمَ فى سوقِ الغنائمْ
وأتى يهْدى التمائمْ . .
ـ لا يفيدُ اليومَ أن تُرفعَ بالسَّيف العمائمْ
يا أبا موسى اتئدْ

إنها الفتنةُ عادت . .

تسفحُ الأطفالَ . . والنسوةَ

والدمعَ المسَالمْ

إنها تُعلنُ فى الأرض المواسمْ

للذى أقبلَ كى يطفئ عيناً

أو يحيلَ الوعدَ هماً ومآتمْ

ـ أنها تُعلنْ : من يسرقْ

فلا خوفَ على قطعِ المعاصمْ!

ثلاثة أصوات مدببة

الصوت الأول:

لا تسألنى عن ماءِ العين

فالماءُ بكل الأشياء

ماء.. فى الصخر

وماءٌ.. فى النهرِ

وماءٌ.. فى البحرِ

وماءٌ.. فى التلِ

وماءٌ فى السهلِ

وفى عينى.. ماءْ..

فلمن أشكو وجعى

حين يفيضُ الماء

ويحلُّ الطوفانْ!؟

الصوت الثانى:

حين يضيقُ العالمُ فى عينىْ

يصيرُ الحجرُ الأصغرُ.. طوْدا

والطودُ يصير بعيْني.. غيْما

والغيمةُ.. أفقاً..

لكنَّ سماءَ المهمومين

حينًا تغدو حُلماً ونعيما

حينًا تغدو وهماً وسمُوما

لا فرق لديهم بين الظلمةِ والنور

بين الطاعة والعصيان

بين النجم إذا يُشْرِقُ أو يَغْرُب..

.....

الكل سواءٌ فى نكبات القلب!

الصوت الثالث:

قفْ!

لا تقعُدْ.. أو تستسلمْ

عشْ ممتشقًا فى أقدامك

فإذا بتروا ساقيْك

قفْ..

قف فوق يديك..

فاذا شُلّت.. فعلى راسكَ قفْ

فاذا انفجر الرأسُ شظايا

قف - يا مقهورُ - على ظهرك

فاذا كسَرُوا الظهر

فابحث عن قوقعة أو شرنقةٍ

أو كهفَ مهجور..

وتخلَّصْ من هذا الإنسانْ!

الرحيل إلى المدن الساهرة

صوتٌ زلزلنى
يتسلَّل من حُلقومى
يتشظَّى جمراً فوق يَدَىْ
فتَّحتُ عيونى اشتعل الصوتُ
جواداً عربيا
أطلقتُ جوَادى للريح
احتدمَ الغيمُ . . مددتُ يدى أقبضُه وشْما
أنقشهُ فوق جبينى . .
أحفره فوق ذراعىّ
تنشق الأرض بعينىْ

يصهلُ فى الليل جوادى.. يركضُ.. يركضُ
حتى انتصفَ الدربُ إلى وادى الشام
ـ ساءلتُ البيداءَ الممتدةَ عن قافلةٍ
كانت ترحلُ صيفاً
ضحكتْ بيدائى.. ضحكَ البحرُ الميتُ والمتوسِّطُ
والقيظُ.. وسَعْفُ النخل..
ـ تذكرتُ...
الليلةَ هبّتْ صاحبتى من حُضْنى
طلبت جرَعة ماء..
قَصَّتُ حلُماً أسهدنى حتى الصبح!
الآن تأوّل حُلْمى..!
هُزِّينى أيتها الرؤيا المدخرةُ فى ذاكرتى
سُلّى من قلبى هذا الشوك
انطلقى بين يدىْ
سيفاً عربياً.. او صخراً
أو وجْهَ يهودى

هزّى بين يدىْ:

«فعلاً» . . يبحثُ عن «فاعله»

نسجاً عربياً يروى عن غَازله

جمراً مضفوراً فى سُنبله!

فأنا وجوادى صرْنا المدَّ . . الغيمَ

الوشمَ على جسدِ الذكرى . .

سُلّى منى اللغْةَ الصَّعْبة.

أنا لا أبغى الجولةَ خاسرةً . . أو خائنةً

أو غافيةً عن وعْيى . .

هزّينى . . أصنعْ منكِ القلبَ الصخرى

أدركْ فيه لغتى . .

وصهيلَ جوَادى المتْعَبْ!.

إسراء

[إلى أطفال الحجارة]

صليتُ الفجر . .
فأحسستُ الرعشةَ تسْرى فى أعماقى
انتفضَ القلبُ الخاملُ . . شَقَّ جدارَ الليلِ
خاطبنى المَلَكُ النورانى :
ـ اتبعنى ياعبدَ اللّه . .
ـ لكنى لستُ نبيًا، أو صدِّيقًا . . أو حتى عرافا . ! ـ
صاح : اتبعنى يا عبدَ اللّه . . ولاتسألْنى . .
حلَّق بى المَلَكُ النورانى . .
ذَهَلت عيناى . . وأصغْت أذناى
ـ كان العالمُ من تحتى قبضةَ كفٍ
والريحُ تسابيح . .

ولون الشمسِ رذاذًا فوق غصونِ الأشجار
ـ تساءلتُ: إلى أيْن. .؟
ـ فى لمحة عيْن. ! ـ
هبط المَلَكُ النورانى. .
أنزلنى فى صحراءٍ. . قال:
ـ هذا قدرُكَ يا مسلوبَ الخطو
انظر قدَّامَكَ أو خلفَكَ. . تعرفْ ماذا ينتظرك
ـ كانت صحراءً قانيةً تسبحُ فى موجِ سراب
قلت: لعل الشمسَ استعرت
فقبضتُ الرملَ بكفىَّ. . قبضتُ دمًا مازال نديا
فارتعدَ القلبُ وزاغَتْ عيناى. .
تلفتُ. . فلم أجد المَلَكَ النورانى
أسرعتُ . . أصيحُ. . أصيحُ. . أنادى
فارتد الصوتُ عليلاً فى أعماقى. .
حدّقتُ النظَر طويلاً. . ثار غبارٌ. . أخذتْه الريح بعيدا

ـ هذا سورٌ. . أم بيتٌ مهجور ـ
أسرعتُ إليه. . درتُ كثيرًا حولَ السورِ. . تسللت
ـ أكوامٌ رمال. .
بابٌ مكسورٌ. . ونوافذٌ تصفرُ فيها الريح
وأحجارٌ متناثرة
لُعَبٌ. . أوراقٌ. . أقلامٌ. . وحقائب
رائحةٌ للموتِ. . مقاعدُ متخاذلةٌ. .
اقمصةٌ دامية
وحكاياتٌ ناقصةٌ فوقَ شفاهِ الأطفال. .
ـ خفَّفتُ الوطءَ قليلا
يتدلىً جرسٌ من فوق جدارِ
مازال أبو ياسرَ يُمْسكُ حبلَ الجرس
وينظر في ساعته الرقمية
والأطفالُ. . أراهُم في غُرفِ الدرس
نيامًا فوق موائدهم. .
أو تحت موائدهم. .

ينتظرون نهايةَ هذا الفصل . .
وفوق السَّبورةِ تاريخٌ مشئوم
أخطأ كاتبهُ فى السنةِ الميلادية
فلم يكتبْ رقمَ الألف
(أتُراه يعنى عصْرَ الغاب
أم حاولَ عمدًا أن يرتدَّ الزمنُ ولايمتد!)
قلت: أكون أبا ياسر
وأدقُّ الجرسَ الصامتَ أُنْهى هذا الليلَ الموحش
أسرعتُ . . تعثرتُ برأسٍ صغيرٍ يتوسل
أمسكتُ الرأسَ أسائلُه قال:
ـ نحن الأطفال الشهداء
نحن حجارةُ هذا السور
ومئذنةُ الأقصى . . والساحةُ ـ داميةً ـ
نحن الأجراسُ . . وأوراقُ السادةِ فوق موائدهم
نحن اللعبةُ ـ خاسرةً ـ فى أيديكم
نحن حكاياتٌ متجددة . .

فاقرع أجراسَكَ للسادة..

لاتقرْعها للأطفال..!

....

- انهار الصمتُ بقلبى.. فتفجَّر جمْرا

وتقاطر من عينىَّ دموعًا.. غمرتْ جمجمةَ الطفل

انطلق دخانٌ يصّاعدُ.. يصّاعدُ.. ينشق:

- صوت طبول.. وزئيرٌ وحوش

وشظايا..

ألقيتُ بنفسى فى أقربِ حفرة..

وضممتُ إلى صدرىِ كلَّ جماجم أطفالى..

....

- واجهنى الملَكُ النورانى:

(الآن تخيَّرْ أقدارَك!)

قلت: الجرسُ الصامتُ يقرعُ رأسى

لكنَّ جماجمَ أطفالىِ.. تشطُرنى نصفين

قال: احملْها معكَ الآن

واضرب كلَّ رءوس السادة

وانثرها فوقَ موائدهم

واملأها بشرابٍ يوقظُ فيهم ما غابَ . .

وما مات!

. . . . . .

ـ لا أكذِبُكم يا سادتَنَا

أسريتُ الليلةَ . . واستعرتْ أعماقى

أبحث فيكم عن صِدِّيقٍ واحد

يحمل مثلى هذا القدرَ الدامى

ويدقُ الأجراس . !

١٣ ـ ٢ ـ ١٩٨٨

الصياد

حدَّثْته . . حدَّثنى
ولم يزدْ عن جملةٍ واحدة
ثم اختفى فى الموج . .
ألقيتُ ما أحملُ من شباكى
قرأتُ سورةَ البحر . . وسورةَ الصحراء
وكلَّ ما لم تُنزلِ السماء
أشعلتُ فوق الشاطئ البَخور
ألقيتُ التمائمَ المرصودة . .
لكنه غاب . . وأمعنَ الغياب . .
أنصتُّ . . صوتُ طفلتى التى اصطفاها الموج
يومًا . . وحدها . .

أنصتُّ.. صوتُ ماتقصَّفَتْ به الضلوع
مايشْرَقُ فى الحلوق..
نزعتُ قلبى من إساره
قذفْتُه فى البحر.. حتى يستجيب
زُلزِلَتْ مفاصلُ البحر.. وملأ الفضاءَ ضِحْكاَ
يا أيها القاصمُ ظهرى ألفَ مرةٍ
أريدُ فُلْكاَ
هزأْتَ بى..
أسقطنى العالمُ من حسابِهِ
وراهنَ الملحُ علىَّ الجَمر
زُلزلتْ مفاصلُ البحر.. وملأ الفضاءَ قصْفاَ
غامت بعينىَّ السماءُ.. هل أنالُ حتْفاَ
وخطوىَ الموءُود لم يُسْعِفْ شباكى بعد
وطائرُ النورسِ لم يجئْ فى موعده..
ـ أنذرنى البحر.. استقرَّ تحت جلدى ملحُهُ
ظمِئت..

قال: غاب الوطُن القديُم فى جوفى

كما يغيب كلُ شئ.

فأدرْ لى ظهَركَ الآن.. ولْملم الشباك

واحملْها على الكُتفَيْن..

فربما جنِّيةٌ تُبعثُ من قلب الرمالِ لك

تقولُ: (شُبَّيكَ ولبَّيْك..)

وربما.. تصنع من خيالها الوطن..

قلت: فقدتُ القلبَ فى موجِك

من أجل الذى يغيب

وحرفتى.. أصيدُ فى الماء ولا أصيدُ فى الصحراء..

ـ زلزل البحر بضحْكِه الفضاء

غامت السماء

تساقطت فوق الرمال سحبًا.. وموجا

ـ هل تصلُح الشباك أن تصيد فى البحر الجديد

وطنا!.

٥ ـ ٦ـ ١٩٨٨

سوق عكاظ

أجِّل الآنَ هذا الحُداء
تتوخَّى القوافلُ أن تتلكأ في الظلِ
حتى يتم لقاءُ المحبين . .
حتى أرى الشعراء يميلونَ نحو القباب
قُبيلَ الرحيل . .
أجِّل الآن هذا النداء العليل
إنها السوقُ تنفضُّ . . هل من سبيل
والقصائدُ تنزفُ أحرفَها في التلول
وثأرٌ جديدٌ يثور
وثأرٌ قديمٌ يزول . .

أجل الآن هذا الصراخ . .
إنها السوقُ مهْدُ الحكايات
تعصفُ حينًا بفرُسانها الفاتحين
وحينًا تفاخرُ بالقاعدين
ولاشيءَ يبقى سوى دمعاتِ الصغار
ـ بنا . . نبْكِ ذكرى الديار
ونبكِ انتظارَ النهار
وأوجاعَ من يرحلون
إن قيسًا مع القاعدين
وليلى مع النائحين
ورزءَ جليلةَ مازال يُنبتُ فى الرمل
وردًا . . وصفصافةً . . وأنين
وبين الخنادق ألفُ قتيل . .
ـ أجِّل الآن ما سوف يأتى
وما سيكون . .
أجل الآن هذا النواحَ . . وأوقفْ رياحَ الحنين
وحدِّق بأقدامنِا

بعيونِ الصبايا
بكل الجرار التى فَرغَتْ منذ حين
بالدماء التى لاتزالُ على صخرةٍ لاتلين
إنه الوجعُ المتوقِّدُ فى العين
والهَلَعُ المتجدِّدُ فى القلب
والصلواتُ . . الفروضُ . . النوافلُ . . والسَّهْوُ
والرعشاتُ بصدرِ الصغارِ المهانين
ـ لن يقبلَ اللّه منا التبتُّلَ
والرقُ فى السُّوقِ مازال نهرًا يسيل
وأشجارُنا تحتفى بالعويل
وسوطُ يهوذا
وحبلُ المشانقِ . . والقهرُ
ينتظرُ القادمين
. . . . .
ـ كان فى البدءِ هذا الكتابُ المبين
كان بين يدينا ورودَ اليقين . .

إنه اليومَ تلعقُه فى الخرابِ . . الكلاب
إنه اليوم بَدءٌ . . ودربٌ . . وأىُ انتهاء
أجل الآن هذا الحدُاء
وابدأ الآن سوقًا نجادلُ فيها طويلا
بلا شعَر . . أو قافية . .
نجادل بالبندقيةِ
بالسوط . .
بالحَجَر . . الجَمْرِ . .
بالسَّهرِ . . الصَّحْوِ . . فى فلواتِ الشتاء
. . . . .
لست أطلبُ حربَ البسوسِ . . ولاصلفَ الأغبياء
ولسنا نحاربُ من أجل ذيْل بعيرِ
ونعْل حقيرِ
وشِرْوَى نقيرِ
وصيحةِ فخرٍ بوجهِ أمير
نحارب من أجل ما ضاعَ منا

ومابيعَ منا

ومن جاعَ منا

ومنْ . . . !

لست أبكى طلول الحبيبةِ

أو حَصَيات الدِّمَنْ

أجل الآن ذكرَ المحنْ . .

وابدأ السوقَ - لاتستمعْ للوصايا -

وأسْقِطْ جدارَ الوثَنْ . .

قد مضى زمنُ الجاهلية - فوق الرمالِ ضحايا -

وكلُ المفازات تنكرُ لونَ العفَنْ . .

والذى فى عيونِ الصغار

من القهرِ . . والموتِ

والأمنياتْ . .

يستحقُّ الثمنْ . .

١٠ - ١ ١٩٨٩

الوجع

- ماذا بعد .؟

وأنا أشهدُ كلَّ الأوجهِ تتلوَّن

والعجزَ على الأفواه يُدمدم

ودماءَ السهرة فوق الأثوابْ . .

- ماذا بعد .؟

هل آن لقلبى أن يرتابْ

ويكذبَ ما كان . . وماغابْ . .

ويصدّقَ أن سلامَ القلب

أصبح مسفوحًا بالأنيابْ . .

- ماذا بعد.؟

وانا أتلفَّتُ خلفى ليل نهارْ
وأشدّ الجلدَ على شُريان العارْ
أوصد أبوابى . . وشبابيكى
لا أسمح للنورِ . .
ولا أسمعُ للجارْ
أتأبط سكّينى فى صحْوى . .
فى نومى . .
أشقى فى دائرةِ حصارْ . .
- ماذا بعد.؟
هل حلّتْ لعنةُ فرعونَ الأولى
أم حلَّ الهمْ . .
هل تنتظرُ الأقلام القَصفَ
وتنتظر الأوراق العصفَ . .
ونرضى فى دنيانا زمَّ الفمْ . .
. . . .

- تعالوْا ياشهداءَ الكلمة

- أحياءً . . أمواتاً -

هذا زمنُ الوجعِ الدامى

يُعلن محنتَهُ الآن . .

فاختاروا . . . .

اختاروا أن تحَيوْا زمنًا آخر . .

أو . .

فانكسرُوا عجْزًا فوقَ الأعناق!

بكائية

- أحدٌ . . أحدْ

ما من أحدْ . .

فى الصُور ينفخُ . . أو يعيدُ الوجهَ

من لون الكمدْ . .

من من أحد

آلى على جفنِ الدماءِ

وجاء يُنجزُ ما وعدْ . .

والعينُ تشهدُ . . والقلوبُ

وأنةُ الأطفال . . والراياتُ

والصلواتُ تُذبحُ فوق رملٍ يتقدْ . .

ومآذنٌ كسَرَت أذانَ الفجرِ
فانعصرتْ شُموسٌ
قطّرت آلامَها فوق الزَّبْد . .
- الحلمُ كان . . ولم يُعدْ
- والصمتُ يُخرسُ قادةَ الدنيا
ولو صاحت بقلبِ الليل عاهرةٌ
لهبُّوا . . .
- إنه صوتُ الجسدْ! -
- أحدٌ . . أحدْ
ما من أحد
لبّاك . . ياصوتًا يُبَحُّ على حناجرَ لا تُعَدْ
- ما منِ أحدْ . .
يبقيك فوق مآذن الإيمان غصنًا ينعقدْ . .
- فرسانُ هذا العصر . . مأجورون
يومًا لليسار . .
ويوم يغريهم يمينٌ . . يهُرعون

فما الذى يبقى لتعرفَ من عدوِّكَ من صديقك
من تَرَى فيه السَّندْ!
- أطفالْ هذا العصر مسفُوحون
لايدرون من آباؤهم
أوطانُهم
ياضيعةَ الدفءِ المجنّح . . والولدْ . .
- كتاب هذا العصر منهوبون
هم يطلقون بَخُورهم فى كل زاويةٍ
وضائقةٍ
ويشيّدون بروجَهم
فوق الجماجمِ . . والحمائم . .
يُشعلون حرائق الدنيا ويجنُون المددْ
- حكامُ هذا العصرِ . . مقهورون
فوقَ المسرحِ المرسومِ
أدوارٌ . . وأرقامٌ
عُقابٌ . . أو حمارٌ . . أو أسدْ

- أحدٌ . . أحدْ

ويلاه . . حتى ما نَخالُ من الصَّدىَ

لفّته ريحُ الليلِ فى كفنٍ

والقته ذليلاً . . للأبدْ . .

- اليوم نبكيه معًا

أم أننا نبكى انطفاءَ النورِ فى دمنا

ولونَ عيوننا المقهورَ

والقسمَ القديمَ وقد جَمَدْ

- أحدٌ . . أحدْ

ما من أحدْ

يصحو من السكر الذى أدمى القلوبَ

فأصبحت فينا البدد

ما من أحدْ

ما من أحدْ!

العصمة

حين اختلف الفقهاء على جسدى

اجتمع على رأسى طيرُ النقمة . .

أسقط عينىَّ حصَاتينْ . .

تعبثُ بهما الأقدام بليلِ العتمة . .

لو تلقانى يا سيدنَا الآن

لرأيت الجسَدَ النورانىَّ

امتلأ َ بثُورا . .

نقَّرَه الطيرُ وفَّر إلى عُش مجهول

شقَّ دروبًا . .

ومسافاتٍ ضائعةً

بين الأمةِ.. والأمة..
اليوم انصهر الحلمُ العربىُ
على طاولةِ الجدلِ المحموم
اليوم.. استسْلم حَولَ المسألةِ الفقهاء
غابوا عن قبلتهم
وانصرفوا للطودِ الأعظم
انصرفوا.. يبغونَ العصمة!

١٥ـ ٣ـ ١٩٩٤

في انتظار المطر

ساعةُ الصفر آتيةٌ
والدماءُ على شرفةِ القلب تُنبتُ وردا
ـ أيها العربى الشهيد
أمازلتَ يا صاحبى فى ليالىِ المواجع
تطلبُ وُدا . ؟
وهذى الطفولةُ تُذبحُ بين يديكَ
وساستُنا يشربُون دمانا
ويختلفُون على الأنصبة . .
ـ ساعةُ الصفر آتيةٌ
أيها العربىُ المغيَّبُ

هل أذهلتْك خريطُة بيتكَ

تُسقطُ فيها الحوائطَ

تفقدُ فيها المفاتيحَ . .

تجهلُ غرفَةَ نومكَ

دفءَ كتابكَ . .

والوهجَ المتعانقَ فى ضحكات الصغارْ . .

ـ أيها القاعدُ الآن ترقبُ أن يحكمَ اللهُ

واللهُ لا يرحمُ القاعدين . .

أيها المترقبُ حُكْمَ المرابينَ

تشربُ فى صحةِ الشهداء كئوسًا من النَّفْط

ـ أترى . . بلَّغتك الجماجمُ فى سجدةِ الفجرِ شيئا

أترى . . بلغتك الشجيراتُ عند «الخليل»:

العصافيرُ تهجُر أعشاشَها الآن

كى تتواعدَ فيها الصقورُ . .

وتملكَ أقدارَها

تتسكعَ فى طرقاتِ البَوار . .
ـ خارج الزمنِ المتَلاحقِ نمضى
وحين يفاجئنا الغيمُ نصلبُ ذاكرةَ الأمسِ
والغرباءُ بأهدابنا يملكون البصَرْ
ـ إنهم يذبحون القناديلَ . .
والموجَ . . والشعرَ . .
والوطنَ ـ الوهمَ ـ حلمَ الطفولة . .
والقادمَ المنتظرْ . .
ـ أيها القاعد المتشبِّثُ بالأرض
تُرى . . آن . . أن تُحتَضرْ . !
ما الذى تملكُ الآن يا صاحبى
غاب صوتكَ . .
غاب سلاحكَ . .
غابت صلاتُكَ . .
غابت عهودُكَ

زلزلة الأرضِ والصمتِ . .
أين؟!
وأين الخُطى فى دروب الزحام . .
ـ أمازلت يا صاحبى تشربُ النفطَ
ثم تطاردُ فى الليل ساقطةً
ثم تغيبُ . . وتغمضُ عينيكْ . .
ـ أمازلت يا صاحبى فى انتظار المطرْ
آه يا ضيعةَ الوطن ـ الحلم ـ
يا ضيعة الزاد . .
يوم يحين السَّفرْ!!

٦ ـ ٣ ـ ١٩٩٤

صرخة عربية

ـ لأى عشقٍ ننتمى

للهِ.

للشيطان..

للإنسانْ

أم للذى يجىءُ من داخلِنا المهدّمِ

ـ لأى أرض ننتمى

للساحلِ القريبِ

للقفارِ..

للحقولْ..

أم للذى يجىءُ من جذْبِ القلوبِ المُعْتِمِ

ـ لأى لونٍ ننتمى

للصمتِ

للحوارِ

للرَّصاصْ

أم للذى يجئُ من ذُعْرِ القلوب الأبكمِ

ـ من نحنُ

هل جئنا بلا هُوية

حتى نُرى فى رقعة الشَّطْرنج

كالقطيعِ المُبهمِ

ـ لأى شىءٍ خطوُنا

لأى شىءٍ وجُهنا

للقبلةِ السَّوداء

أم للخمرةِ الصَّهباء

أم للعلة التى يحارُ العقلُ

فى تفْسيرها المحرَّمِ

ـ ها نحن.. فى مواقف الرجالِ
شيعةٌ
وفُرقةٌ
العَقلَ ـ حتى العَقلَ ـ
حار فى ضياعِنا المقسَّمِ!
للَّومِ عاشقونْ
للخوفِ مدمنونْ..
للفخر والرثاءِ.. وارثونْ..
إمارةٌ على حجارةِ الشقى الأشأمِ
ـ ها نحن ندعُو اللهَ
والسماءُ يا رفاقُ..
اوصدتْ أبوابَها الألفَ بصمْتٍ مُحْكَمِ
ـ ماذا تبقَّى اليومَ..
قبضُ الريحِ
أم قبضُ الرقابِ

أم وهمُ الذى يحلُم مازال بعصرٍ مُلْهَمِ
- متى.. متى نُفيقُ
أو.. متى نضيقُ
أو متى نتُوقُ
مثلَ عاشقٍ متيَّم
تهون عنده الحياةُ فى الجَحيم المُضْرَمِ
ومن نكون..
من نكون فى سطورِ المعجمِ!.

غُصّة

ـ من يافتى يشرحُ لى
قصيدةً تطْوى جناحَيْها
على دمٍ . . وخُطوةٍ منكسرة
ـ من ياً فتى يُسمعنى الصلاةَ
من شيخوخةِ الأقصى
مسكونةً بالحزن والخناجرِ المنصهرة
ـ هذا أوانٌ ضلّ فيه العشقُ
فاستظلّ فى جدارِ مقبرة
تفرّق الأحباب فيه . . والتقى الأعداءُ
فانمحت ذاكرةُ الثأر القديم
جف الدمعُ فى القلب

وأخرج اللهُ الشهيد من جنتهِ
لأن أصدقاءَه ألقوْا دماهُ فى البحرِ
وعادوا ضاحكينَ فى الليالى الُمقمِرة
ـ قد نحتفى معا
ونرفع الكئوسَ نشوةً معا
ونرسمُ ابتسامةَ الصبار فى شفاه الغيد
فوق جدران القصورِ . . والحدودِ الُمنكرة
ـ قد نصطفى أنا وأنت دفترًا
نكتب فيع وحدنا من واحد لعشَرة
وبين هذه الأرقامِ أبجديةٌ طَويلةٌ
لألف وعد مثقل بالهم . . والعواصفِ المندثرة
ـ يالهوانَ الحرف . .
وهو يشرَقُ الآن بغُصَّة ومجْمرة
تأكله الذئابُ فى قفار القُدس . .
ثم فى آبارِها تقيُؤه
لأنه استحال حصْرِماً. لا ثمرة . .
التَبسَ الأمر علَىَّ يا فتى!

وأنا أشهدُ تلك الشاشة البيضاء
يا اللهُ . . ربَ المغفرة . !
أهكذا يُخمدُ ومضُ الحرف
أم أن الذى يضىء داخلى . . هَوَى
وشدَّنى إلى جب السُّقوط
فجذبتُ الشمس والبحرَ معى
وكلَّ كلِّ الأصدقاء . . أعدائى
وأزهقتُ الخُطى المدَّخرة . .
ـ هل تستطيعُ بعدُ يا فتى تشْرحُ لى
أم أنت مثلى قد أُصبتَ بالعياء
قطّعتَ من قيثارك الآن
ـ كما قطّعتُ ـ
وترَه . .
هل تستطيع يا فتى .
هل تستطيع ! !

٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٩٣

حديث جانبى

لا أريدُ من البحر فُلكاً
فكلُ الشواطئِ تنكر وجهى
وحراسهاُ يتباهوْن . . ضحكاً
إنهم يدركون بأنى أخافُ ركوبَ البحار
أقطِّرُ ملحَ السنينَ القديمةِ فوق الشواطئ
حتى أضعْتُ الرواسيِ . .
وسلمتُ عكًا . .
وقايضتُ أرضاً بأرضٍ
وحصناً بحصنٍ
ومئذنةً بجدارٍ
وشمساً بشمسٍ

وأزريتُ مُلكاً
وواريتُ فى الرملِ ألفَ شهيدٍ
ولم أشكُ ضنْكا..
ورحتُ أغنِّى لسربِ الحمامِ
يرفرفُ عند الموانى..
ألوِّحُ خلفَ الحدودِ بحلمِ السَّلامةِ
وقَّعتُ.. قيداً وصكاً..
- هنا رايةٌ فوق سورٍ قديمٍ
جرى تحتها النهرُ
لكنه صبَّ فى القلب ناراً
تُرى..
ما الذى جعلَ النهرَ يحملُ رنْقاً.. وإفكاً
- هنا قبةٌ تتشكَّلُ فى القلب
يحملها فى الفضاءِ براُقُ
ولكنها الآن تهوِى.. وترتدُّ شرْكاً
- هنا آيةٌ من كتاب كريمٍ

تُؤوَّلُ عند المرابين . . .

تُطفئُ فينا سراجَ التراحمُ

تأتى على خُضرةِ الأرضِ . . دكاً

ـ هنا خرقةُ لنبيٍ قديم

تبوحُ بلوْنِ العَشاء الأخير

تفوحُ اختناقاً . . وسفْكاً

ـ هنا . . وهنا . .

ما الذى بعد يوقفُ هذا النزيفَ الممدَّدَ

فى باطنِ الأرض

يَبعثُ فى ثوبها الغَضِّ . . عكاً

أتُرى حجةُ القوْلِ يا صاحبى وحدها

والمرابون لا يفقهوَن الأحاديث صادقةُ

أم تراها القواطع نرفَعُها فى الفضاء

ترتلُ سِفْر السنَّابل ، . . حُكماً . . وفَتْكاً

ـ ما الذى بعدُ يُضرمُ نارَ العيون

ويطفئَ فى القلب . . شكًّا

ما الذى بعد يطفئ فى القلب . . شكاًّ !؟

لا فرق

- في لحظتنا هذى يا أصحاب
بعضٌ منا يشدو شعرا
بعضٌ منا يرسُمُ أحلاماً خُضْرا
بعضٌ منا . .
يشربُ كأساً تُشعلُه سُكرا
نتحاورُ حوْلَ قصائدنا
- إن كانت شعرا . .
أو كانت نثرا . .
- في لحظتنا
يحملُ كلُ منا لصديقته نذْرا

يلُفُّ أنجُمَه فى قَبضتِه
يعصرُها . . قَطْرا
- فى لحظتنا
نشجبُ . . أو نحتجُّ صراخاً
أو نشْقَى بالحكمة . .
أو نغفو قَسرا . .
وعلى بُعد خطوطِ خريطتنا
تُسْفحُ أكبادٌ . . تهوى أعناقٌ
تتلوى أطفالٌ . .
يتلهىَّ السفَّاحون
يصلُّون على جُثثِ القتلى - كُفرا -
- فى لحظتنا . .
يُذبحُ خَطْوُ الإنسانِ على سيْفُ الحكمةِ
نتوهمُ عالمنا طُهْرا . .
. . . .
ما أشبهنا - بين شرايين خرائطنا -

ومسافاتُ الموت نمهِّدُها
سكيناً كانت . .
أو طلقاتِ رصاصٍ . .
أو شعِرا . .
ما أشبهنا!!

ڤيتو!

(هناك من يَهنأ بقهرِنا وهوانِنا ونحن لا نحركُ ساكنا)

ـ لك القهرُ يا سيدى
وأنت تَزُفُّ جنازةَ عُرْسىِ
وتُفلحُ أن تعصرَ الآن من رئةِ الليلِ
كأسىِ. .
ـ لك العمرُ يا سيدى
لك العمر ما كانَ منه. . وما لم يكُنْ
لتُطلقَ فيه خرافَكَ
تطلقَ فيه ذئابَكَ
تعَبثَ . . تشْرَبَ . . تقتاتَ غَرْسىِ
ـ لك الحلُم. .
نحن فقدْنا قصائدَ قيْسْ

وريحَ الصَّبا وهى تُقبلُ من حيٍّ عبْس
وبين يديْك القصائد
بينِ يديك الهوى . . . والقلائدُ
بين يديكَ صُراخٌ
يزلزلُ جدرانَ بيتى . .
ويومى وأمسي . . ·
ـ لك البحرُ . .
آهٍ من البحر يا سيدى
كان إلى قرْب مولدِ طفلي
يقهقهُ بين صدُور الصَّبايا
يزغردُ فى سفَرَ العاشقين
ولكنه اليومَ شاخَ . .
بقدْر توابيت أجدادنا الراحلين . .
يطالبُنا بالعباءة من سندسِ الزهْرِ . .
ها نحن نبحثُ عن مَغْزلِ . . وكِباشٍ
وأنت

ـ بشبُيكَ لَبّيْكَ ـ

تهبطُ بين يديكَ العباءاتُ

يخطئُ قِبلتَنا البحرُ . .

آهٍ من البحرِ يا سيدى . .

. . . .

ـ لك الأرضُ . .

والأرضُ ظلَّتْ زماناً

عروساً تئنُّ . . وتحملُ كذْبا

ولا أحدٌ فى الفيافى يُجيبُ

ولو جرأَ الطفلُ ـ فى الغيبِ ـ يوماً وصاح

تيَتَّم قبلَ الخروجِ . .

ولكنكَ اليوم تَسلُبُها من عيونِ الصغّارِ

وتسخرْ . .

تلقى كلاماً بليغاً عن الحقِ والوعدِ . .

تسخرُ . .

نجمةُ داود تعلو حقولَ الجماجمِ والقمحِ

تسخرُ . .

لا أحد فى الفيافى يُجيب . . .

فلا تخشَ يا سيدى

فلا تخشَ وحشَ الفيافى

لقد كان أسطورةً . . واختفى

. . . .

ـ لك الحكُمْ . .

كلُ القضايا مؤجلةٌ

والزنازينُ مكتظَّةٌ

والقضاةُ ـ هنا ـ يرتشون . .

غير أن قضيَّتك اليومَ

ليستْ ككلِ القضايا

إذ الحكمُ يا سيدى ليس فى حاجةٍ

أن يكون له من ينُاقضهُ

أو يعيدُ قراءَتَه من جديد . . !

. . . .

ـ لك الوطْء . .

يا ما اصطفى الشعرُ طائفةً

من فحَوُلِ الرجالْ . .

وسوّدَ أوراقَنا بذواتِ الحجَالْ

ليأتى زمانُكَ . .

يمنحُ صنْفَ الرجالِ الخنوثَةَ والضَّعفَ

يالزمانَ العجائب . .

لا نعرفُ اليومَ من يرفُضُ الوَطْءَ

فى زمنٍ . . ليس فيه مُحَالْ . . !

ـ لك الطْلقةُ الباقية

قد ركبْنا جَوَاداً سفيها

حسبناه يسبقُ كلَّ الجياد

انتشينا سرَيعاً

فدُسْنا زنَادَ البنَادق

كى نُشْعلَ الأفْقَ نوراً

وتَنْبُت فوق وسائد أطفالنا

قصَصٌ . . . وزَنابقْ . .

ضاعتْ بنادقنا فى السِباق
وما عاد غيركَ يا سيدى
تملكُ اليوم طلْقتَكَ الباقية . . !

. . . .

ـ لك العامُ
والشهرُ . .
واليومُ . .
أعيادُنا والمواسمْ
طالعُ أبراجنا والتمائمْ
كلُ الطواطمْ . .
أوهمتنا طويلاً بقُربِ الشِّفَاء
وفى القلب زرقاءُ
فى العين زرقاءُ
زرقاءُ فوق الروابى
تسُوقُ قطيعَ التواريخِ
يأكلُ عُشْبَ القلُوبِ
ويستلُّ ضوْءَ العيونِ

وكنتَ الأصمَّ
وكنا نسائلُ عنْك
وكنتَ البعيدَ البعيدَ
وأسْلاكُ هاتفنا فجأةً تتوقفُ يا سيدى . .
لنذوقَ مزيداً من الوهمِ
كنتَ الأصمَّ . .
ولكنك الآن وحدَك تأتى بما كنتَ
تدخرُ الأمس . .
والسُّوقُ فى عصرنا . .
السُّوقُ يا سيدى
السُّوقُ تشتاقُ للسلعةِ البائرة!
ـ لك الشعرُ . .
ها نحن نكتبُ . . نكتبُ
سيان، ، ذكرُك بالمجدِ أو بالسِّبَاب
سيان . . أوراقُ حبٍ
أو الحرْفُ ظفرٌ . . ونَابْ . .

لك الشّعر
زيَّن من نصفِ قرن خريطةَ ساستَكَ ـ الحلْم ـ
قيل لنا: الشعرُ أكذُبه العذْب
سقُناه يا سيدى ألف نهرٍ وبَحْر . .
ولكنَّ رأسَكَ أسنْدتَ
فوق القوافي القديمة . .
حتى استرحتَ . . امتلكتَ . .
ولم تشْكُ داءا الهموم
كما يفعلُ الشعراء!
ـ لك الشُكرُ . .
حيناً تحاصرُ أرضاً . . وتوقظُنا
أو تُذَبِّحُ أطفالنا فى العراءِ
وتوقظنا . .
أو تُحطِّمُ سداً ليغْرقِ بحرُكَ
كلَّ حضارتِنا الأوسطيةِ
توقظُنا . . .

أو تمدُّ يديْك لشيخٍ يراهنُ بالنَّفطِ
يمنحُكَ الجبةَ العربيةَ
واللغةَ العربيةَ
والذوقَ . .
والسمعَ
والشمَّ
ثم تعودُ . . لتوقظَنا . .
لك الشكرُ يا سيدى
ولنا نحن . .
قبضةُ طينٍ من القُدْس
نصنعُ تمثال إسرائنا
ثم ننفخُ فيهِ . .
لعلَّ نرىَ السامرِيِ الجديدْ
لك الشكرُ يا سيدى
والمساءُ السَّعيدْ!!!

١٩٩٥/٥/٢٢

هل يُفيق الرُّعاة؟

(إلى أسَرى الوطنِ المقتولين بأيدى أعداء الإنسان)

أترى . .

شحَذَ الصقّرُ مخلبَهُ

ينْبشُ الأرضَ عن صيحة مبْهمة

أم ترى . . استعرتْ أرضنًا فجأة

فترامت على الرملِ تلك الرُّقى المُلهمَة . .

أَوَ يحلُمُ ـ مازال ـ قلبُكَ يا صاحبى

أن يجئَ زمانٌ

ترى البحر بحراً

وتحملُ مرْساةَ رحلْتِكَ العربيةِ

تُعلنُ ثأرُ القبائلِ . .

صرختَه.. موسَمه..

ـ أو تذكرُ مثلى يا صاحبى

ذلك الخندقَ الحَجرىَّ

وتلك العيونَ التى تحصدُ الموت

حتى وقعتَ بأسرك حيا..

وداسوا على عنقى..

حين ظنُّوا بأنى بقايا دمٍ معتمة..

ـ ها هو الوقت يا صاحبى..

كَسرَ القيدَ عن ساعديه

ليُفيق الرعاةُ على اللوحة الفاجعة

شبعتُ من دمانا الذئابْ

والرفاتُ بجوفِ الرمالِ

وملحٌ تكلَّس فى باطنِ القبرْ

زهرة حبٍ قديمٍ تجفُ

وبعضُ رسائلَ قد حمَلَتْها القَطَا

فى صباح البنادقِ..

عينٌ على دمعةٍ مُضرَمة!!
ـ ها هو الوقتُ يا صاحبي . .
ليُفيق الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعة
ليس فيها السلامُ
وليس العصافيرُ
ليس النشيدُ الموحَّدُ
ليس النخيلُ
وليس الكرومَ
وفي العين . . . والقلب . .
أسرٌ . . وقبر . . وعهدُ عدوٍ
وملحمةٌ مؤلمة . .
ـ آه لو كنت أملكُ ـ مثل الرعاةِ ـ
لوقَّعت صكاً بذبح الذئاب
وعلَّقتُ فوق المنارات منديلَ أمكَ
مازال يعصرِ فوق الرمال دَمَه . .
ـ ها هو الوقت يا صاحبي

أعلنَ الآن صرختك المبهمة

تكْتسيِ الآن بالأسرِ

والجُمْجمة . .

لا يفيدُ التلعثُمُ فى القول

لا يفيد ابتسام الشِّفاهِ الملطَّخُ بالزيفْ

فى المدى . . صرخاتكَ

فوق الرُبى نجمةُ الموتِ

فى البحرِ موجٌ غريبٌ

وفى الخطو ثأرٌ قديمٌ

وفى الرملِ رقدتُك المرْغمة!

ـ ما الذى بعدُ يبقى

ليفُيقَ الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعة

ما الذى بعد يبقى . .

لنرى مشْهدَ الخاتمة!!

١٩٩٥/٩/١٧

قاتل رابين

- لو كان القاتلُ عربياً

لانطفأ الحلمُ الموهومُ بموجِ البحرْ

وتلونتِ الأوراقُ البيضاءُ

بلونِ الجمرْ

- لو كان القاتلُ عربياً

لاحتكمت نسوةُ يوسفُ للشيطان

وارتفعت ألوية العُهْر على ساريةِ العصرْ

لتحدَّث فى المهدِ وليدى . .

يصرخُ ثانيةً

أن تبلعَهُ بطن الأم

ولا يشقىَ في زمنِ القهر . .

ـ لو كان القاتلُ عربياً

لانقضَّت فوق جِماجمنا . .

كلُ صقورِ العالم

تنقرُها . .

تغرسُ فيها أشجارَ الصبار

وتعْصرِها في قارورة جوع

تُهديها للسّادة في ليلة سكْر . .

ـ لوكان القاتل عربياً

لانكسرتْ في داخلنا أعينُنا

تتخاذلُ

تنزفُ ملحاً

وبقايا جمر . .

لتفجرت الأرضُ شظايا

والرملُ . . رفاتاً وبقايا

والنفطَ - على مائدة الأطماعِ -

مُساومةً وبلايا . .

والأعناقُ الشامخةُ . . مطايا

والنسوةُ عند نواصي الوطنِ

بغايا . .

والأطفالُ عبيداً وسبَايا

والحلمُ العربى خطايا تنخرُ

فى الصدَّرْ

- لو كان القاتلُ عربياً

لابتسمت نجمةُ داود

على قمصانِ الصِّبية فوق الخَصْرْ

لارتسمت فى حضْن هلال مآذننا

وتعلَّق فى أذيالِ مفاتنها البدرْ

لاتحدتْ بشعارِ النَّسرْ العربى ودانتْ كلَّ جسور النهر . .

لتحقق وعْدُ الوطنِ التائهِ
من أقصى الشرقِ . .
إلى أقصى البحرْ
. . . .
ساعتَها . .
لو تسألنى عن وطنى
تحفرُ أظفارى فى موضعِ قدمىِ
قبريْن . .
قبراً للحلُم الضائعِ
والآخر للشعر!

مقامرة

هل تجرِّبُ يا صاحبي أن تكونَ فتىً
فى أوانٍ يقُامرُ بالسيفِ
ينسى صهيلَ الجيادِ القديم . .
هل تجربُ أن تُخْصبَ القلبَ
ـ لو مرةً ـ
بحنينِ الطفولةِ
فى زمنٍ شاخت الأرضُ فيه
وراحت تئنُّ
ويختلُ فى شفَتَيْها الصُّراخِ . .
إنك الآن منفِلتُ من إسارِ الطواحين

تكوى التجاعيدَ بين خلاياك
علَّ الشرايينَ تُفتح ثانيةً
تتسلَّل منها طيور الخصوبَةِ
همزة وصلٍ تُقرِّبُ وجهَكَ
من ثمراتِ النَّضارة . .

. . . .

ها أنا لا ألومُ الطواويسَ
تختصمُ الكونَ زهْوا
لا ألوم البحارَ التى ترسلُ الموجَ
يُغرقُ أفراحنا حين يلتهمُ الشطَّ
يودى بُحلم الصغار . .
لا ألومُ الشوارعَ منهكةً بالخُطى المستبدة
بالصرخات . .
وبالوجعِ المتربصِ فى كل زاويةٍ
يُنبتُ الآن شوكاً على الأذرع الباليةَ

. . . . .

كيف لى أن أجربّ تلك الخُطى
ودنانُ من القهْر نجرعُها
وطقوسُ من الموت نُشْعلُها
واللغاتُ التى حاضنتنا طويلاً
نبددها
والذى ظلّ فى يدنا ـ العمر ـ
ينفرطُ الآن . .
حباتَ رملٍ
وبعضَ رفاتٍ
وشيئاً من العشب محترقاَ
كيف لى أن أجرِّبْ
والذى كان يسلُبنى الأمسِ
ثوبى . . وحلُمى . . وخبُزى
أمد إليه يدى اليوم
أنسَى الذى كان . ! !
. . . .

ـ ها أنذا مات في القلبِ فارسهُ
واستراح على بابْ هذا الرِّواق الجديد
أترى لو أصيحُ . .
سيرتدُّ للحلْقِ صوتي
أم ان الْمَنَافي ستؤُويه
في ليلِه المستحيل!

١٨/٣/١٩٩٦

الدُّمى والحجارة

[إلى الطفل الذى ولد رجلاً]

لونُه عاصفة

صوتُه لهبٌ .. ورؤى جارفة

ضوءُ عينيه .. لؤلؤةٌ قاصفة

أسْقط الوهمَ .. والسُّقْم .. والعُجْمَ

واستلهمَ النطفَ النازفة ..

شقَّ صدرَ الفلاةِ

وألقى النُفاياتِ

سدَّد من دمِه الضربةَ الخاطفة

ثمرُ الغابِ بين يديه ..

وصبارةُ الموت

والظلُّ ــ وحشاً ــ

إنه الآن ينحتُ صخرتَه النّاسِفةَ

ثم هاهو ينفخُ فيها ..

فتعلو على الرمل مَرَقْأةً

ودماءُ البراءِة تقطُر منها ..

وصمتُ التواريخ ..

صوتُ الشهيد المعذبِ

والعربى الذى أسْكنَ البغْضَ قلبَ أخيه

فأدماه فى التيه ..

ونحن على ضفة البحر نحتضن الموجةَ الخائفة

نتساءل : نسقط أم يسقط المعتدون

ونجلس حول الموائد

والحلم منكسر فى العيونِ

وريح الأسى فى المدى عاصفة

فوق تلك الدروب المتاريسُ
والعسسُ المتسربُ بين سطور هُويتنا
ويضيقُ بنا الدربُ
يقطعُ نصف اللسانِ
فهل أقبض العربيةَ بين شفاهى
لتصبحَ عبريةً أو بقايا رماد
ولا شيء يبقى من الحلم
غيرُ دموعِ أحبتىَ الراجفة
ـ أيها الطفل ..
يا رجل الحلم .. يا غَدنا المشتهى
قد عجَزنا عن الحب ..
جفَّ بنا الدمعُ .. والنبعُ ..
كن جمرةً قاصفة ..
كل شيء لدينا ذُبل ..
الوصايا .. طلَلْ

وخطانا .. زلَلْ

والحكايا .. ملَلْ

والمدى يشتعلْ

أترانا بكينا البكارةَ وهى تُفَضُّ

بأعيننا الطارفة

أترانا أَلِفْنا المحاجاةَ دهراً

وحين سئمنا ..

انصرفنا إلى حِكَم الكتب التالفة

أهو الجوعُ قبلتنا

أهو الوطن المستباحُ

تموتُ العصافيرُ فيه .. نغنّى

وتجرى بأنهاره كل يومٍ دماه ..

نغنّى ..

وتشنقُ فيه الحلوقُ .. نغنى

وأحرُفنا فوق أوراقنا واجفة

ـ أيها الطفل ..
يا رجلَ الحُلم
يا لونَنا المشتْهى
لا تُعِرْنا التفاتاً
ولا تدعِ الموتَ يزحفَ قبْلَكَ
وحدَكَ ..
وحدَكَ أنتَ اللهيبُ المقدسُ
لاتنتظِرْنا
فنحنُ دمىً زائفة !

٢٠٠٠/١٢/٣٠

مكابدات الصقر العربى

يقول الشاعر الأسير أبو فراس الحمدانى

[وقال أصيحابى الفرار أو الردى

فقلت هما أمران أحلاهما مر]

وأقــول :

- بينى وبينك يا ديار الشرق خطبُ

بينى وبينك خطوة لا تستجيب

يتخلف الشعر الندىّ الآن

والشعر الحريق .. الجمرُ .. يخْترقُ الحدود

وجواده العربى يُخفى عن عيون الراصدين حياءهَ

يهوى الصهيلَ المستحيل ..

وأناهنا .. صقر عليل ..

بين القيود مفتّتُ الأكباد .. منثورُ الأنامل

فبأى وجه أستردّ الوجه ..

والوعد الذى أعلنت باطل

- بينى وبينك يا ديار الشرق صمت ..

بينى وبينك ألف باب موصدٍ .. يأتى من الزمن العتيق

ويشيب فى الزمن الذى يأتى على زهر الطريق

فبأى لون تصهل الصرخاتُ فى جنبىّ

والجرح العنيد بمعصمىّ

- سوقى إلىّ

سوقى الذى حبسته عنى شهوةُ الغرماءِ فى الزمن العتى

وتقاسمت بينى وبينك خطوةً .. ومسافةً

من أجل كأس .. أو هوىً

أو ليلة حمراء .. أو وعد شهىّ

- سوقى إلى النوق من أرض السّخاء الهاشمية

أو من ثرى الشهداء فى قدس المنارات الأبية

أو من أناشيد العيون البابلية

أو من جراحات السيوف السمهرية
أو من كتاب النيل حيث تنوح أسطره الندية
ـ جرحُ على جرح ..
وأوجاع الطفولة ترتوى منها الحجارة
جرح على جرح ..
وقيدى شاهد كالقبر يشطرنى
وأحسبه يداً أخرى تداهمنى
ويصدأ سيفىَ المحمومُ .. لكنْ
قيدىَ المحمومُ لايصْدا
فبأى قيدٍ أُنجزُ الوعدا ..
ـ غضبٌ على غضب
يدق جماجم الأطفال .. يصرخ ..
أين أين الصقر ..
أين الجمرُ .. أين الثأر .. أين البحر
والأمواج يقبضها الغريب

وليت للغرباء ثأراً ..

ـ إنى هنا .. عيناى تختصمان حين أطل من ثَقب الجدار

وتصيح أنات بحضن القدس بى ..

طهــر دمك

حرر دمك

قطّر دمك

لكنها الأجراس تقرعنى .. توزعنى

وتعلن فى الصباح الموت

تعلن فى المساء الموت

(لا أصغى بقربى للحمام ينوح)

تفقد طعمها الأشياء

والوطن المعذب فى العراء

سقطت هناك ضروسه ..

واختل فى فمه الصراخ ..

ويضيع فيه الخيل .. والبيداء .. والقرطاس

والشعرُ الفتىُّ

وألف فتح من قديم

ونظل فى السّلوى نخاف

والموسم الموعود لا يأتى

ونظل مقهورين بالصمت

موت على موت على موت

ـ فبأى وجه تصعد الكلمات والشهقات والدعوات

والقيد العتىّ بمعصمّى

وموعد فى الصبح يذبح

والطيور البكم وهى تنوح

والأيدى الخواء

وألف عهد لم يقم بين الرفاق

وصحائف لا تستبيح سوى الشقاق

ـ ما ظنكم حين الغد المغتال يقبلُ

والأسير محدّق فى الأمس ـ لم يبرح

ولم يعتقْه سيف الدولة

يشكو زمان الخوف والعلّة

يظل لا يملك حتى قوله

ولا سلام القلب أو ذُلّه

ـ ما ظنكم وسحائب الأيام تمحو كلَّ شىء

يا أيها المتواعدون على السّراب

أهو البكاء على المصاب

أهو الشقاق على الحجارة والخراب

يأتى بما يهب السحاب

لا شىء يجدى الآن فيما بينكم

الريحُ فى آذانكم

تتلو سلامًا من سراب

فمتى نفيقُ إلى الصواب..

ومتى نفك القيد من أحشائنا

ونحيله جمراً يعيد الغائبين مع التراب

هل تدركون ..

أم أنكم لا تدركون ؟

القاتل

كانت تتدلّى من نافذة

تقطرُ من عينيها سنوات النار

وحبات القلب الموءودة

والنخلات الداميةُ على جسد الصحراء

- لم تبلغ سبع سنين

لكن القلب بداخلها آلام السبعين

لم تحْبُ على بسُطٍ من ريش الطير

فكل طيور الساحة ملقاةٌ من زمنٍ فى الطرقات

لا يملك أحد أن يبعثها ثانية من هذا الموت

ـ فتّحت العينين على لون الشفق المخنوق

وبقايا جثث الأهل المطعونة

والذكرى الخامدةِ

وأحلامٍ وئدت فى سنوات المهد ..

ـ كانت من زمن تَنْبُتُ فوق الكفين

وتنمو فى العينين

وترقص فى قلب القلب

صارت تتدلى من نافذة

تقطر من عينيها سنواتُ النار

تتكوم جانبها امرأةٌ فقدت كل الأبناء

يا أخت الخنساء

شُدّت أهدابُك حين توقف إنسان العين

عن الدوران

فدعينى ألقاك الآن ..

صاحت فى وهج الصمت ..

ـ ياولدى..

لم يحرِق قلبى فقد الأبناء

هل تعرفُ من قاتلنا ؟

القاتل فوق جواد محموم

يتجول فى دائرة العين ..

يلبس فى الليل عباءته الصامتة

ويطعمنا الموت نهارا

ويحدثنا من خلف جدار ينهار

عن ملاح يجهل مرفأه ..

أو صيادٍ يصرعه الموج

أو غولٍ تهزمه عنقاء ..

ويصدقه السادة كل صباح

كل مساء ..

هل تعرف يا ولدى من قاتلنا الآن؟

سيان

سيانِ ساستُنا فوق موائدهم
والسفاحون لأبنائى ليل نار
يا ولدى القاتل معلوم
القاتل معلوم ..
......
أسرعت إلى النافذة
ورأس الطفلة يتدلى مازال
أدركت الآن
أنى لم أكن المجنون
لكنى شئت أسمى القاتل
وأصك به كل الآذان !

٢٠٠٢/٣/٥

بأى الآلاء تصدقون

النخلُ فوق النيل يسأل

والجموع العابرون أمام مئذنة الحسين

يرددون دعاءهم

ويسارعون ليخلعوا النعلين

وهؤلاء يكاتفون صفوفهم وقت الصلاة

وتردد الجدران ألف فجيعة

أدمت قلوب الآمنين

وتسربت موجاً من العبرات

تعلن تارة صوت الرصاص

وتارة وجع الخنوع ..

وتُطلّ أفعى من شقوق زماننا

تسعى وتزحف فى قبور الأولياء

وتحيل صوت الموت قعقعةً وخوفاً ..

ـ أنا حين تسألنى المدائن عن شوارعها

وعن الخطى تسعى معذبةً

تدُب على بقايا من رفات زماننا

أنا حين تسألنى المدائن

أستوى فوق المنابر أعلن

الألم المخبأ فى الحنايا

وأسوق ذكرى الموتِ وهو يطوف

يحصد ألف ألف ..

فأرى دماء أحبتى فوق الرمال

لو أغرس الأشجار فيها

أثمرت وجعاً وحلماً غائماً

وجماجما ..

لكنّ صمت عروبتى

أمسى وشاحَ العار والخوف الهزيل

ورأيت صقر الأمس فى سفح المنايا يستكين

والحلم مقهوراً .. طعين ..

فبأى آلاء الزمان تصدقون

أن النخيل معذبٌ فى أرضنا

والبحرَ يروى ألف موقعة

ويطوى ألف جمجمة

ويغرق كل أحلام السنين

أن الطفولة فوق رمل القدس مجهضةٌ

وأفعى الخوف تنفث سمّها فى العابرين

أن الذى حَلَمَتْ به أجدادنا

اليوم يُذبح فوق أشلاء اليتامى

والأيامى .. فى العراء

فبأى آلاء الزمان تصدقون

أم أنكم صرتم حيارى .. تكتفون

أن ترفعوا الأيدى .. دعاءَ

أو تطلقوا الشكوى .. رجاءَ

أو تحملوا القتلى .. قضاءَ

وتصدقون وعودهم

وتؤوّلون صدودهم

وتهرولون إلى بريق قد يُعيد عهودهَم

والحرفُ فى أفواهنا مرّ

ونبض القلب يشقى بالأنين

فبأى آلاء الزمان تصدقون

أن الرمال صحائف باحت قديماً

بالذى تطوى السنون

(ماحك جلدَك مثلُ ظُفرك)

فتول أنت الأمَر

حرر معقلكِ

وانهض وطهر منهلَك

ما أجهلك

لو لم تكن نمراً يراوغ سارقيه

لو لم تقم من رقدتك

وتصم سمعَك عن وعود الوهم

ضاعت في الرياح

انهض وحرر معقِلك

انهض وطهر منهلك

٢٠٠٢/١/٢٨

المنعطف

ـ أيها السادة احتملوا غضبتى

فأنا شاعر لا يُفيق من الشعر

لا تجهضوا خطوتى ..

أيها السادة .. الحلم ما عاد فى قبضتى

والغناء الذى ظل عمرا جوادى

أراه كبا عند أول منعطفٍ

وفقدتُ به قبلتى ..

قيل لى : لك عمرٌ مديد من الشعر

كنت تدق الرءوس

تطامن تيه الطواويس

بالحق والحجة

أنزل الآن هذا البلاء الثقيل

فما عاد صوتك يُدمى

وما عاد للشعر وجهٌ

يعيد العروبة للحلم والهمة ..

ـ أيها السادة الآن

ماذا ترون معى؟

هل نسميه معتركاً للكلامِ

وفى القدس

يوسف يصرخ مازال فى الجب

والذئب يلهو بقُدرته

وبريق الثنايا لظىً فى العيون

وإخوته ينسجون الحكايات

بالزيف والحيلةِ ..

ـ هل نسميه عاصفةً وتمرّ

والأعاصير تأتى من البحر كلَّ صباحٍ

لتلفظ فوق الرمال الجماجمَ

تُنبتُ صبارة الوهم

ينقسم القلب

ينعقُ فيها غرابُ المنيةِ والوحشةِ

ـ هل نسميه شمساً تغيم

لتشرق فى جبهة الصقر

والصقر ياسادتى الآن فينا

مهيض الجناح ..

تهاوى إلى السفح

هاهو يبكى انطفاء المصابيح

صمت الأغانى

احتراق التواريخ

عُرْى المغازل

يبكى هوان العروبة فى الغفوة ..

ـ هل نسميه ضائقةً بعدها فرج وارتحال

وأرى .. الشافعى تحسّر فى قبره

حين أدرك أن المدى غابة

ملكتها الوحوش ..

وخارطة الكون فى محنة ..!

ـ أيها السادة احتملوا زفرتى

لكأنا شربنا شهىّ الخمور

وضاعت بسكر العقول الحقيقةُ

حتى نمت للحروف مخالبٌ

وانصهرت فى دم الشهداء المناكب

وانطفأت فوق ملح البحار عيون المحاربٌ

ـ أيها السادة الغافلون

أفيقوا على صحوةٍ

ربما قد تعيدُ لنا الحلم فى دفئه

أو تعيد لنا الخطو فى عدوه

أو تضىء لنا أعين القلب والعقل

تكفى العروبة ذاك الهوان الذى

حوم الآن فوق التواريخ

فى الساحة ..

ـ أيها السادة احتملوا زفرتى

إننى حائر حائر بين حرفى وبينى

تطول المسافة ما بيننا

وأود له أن يشق الهوان إلىّ

يظل بقبضة كفىّ

رمحاً .. وغصناً .. ووحى نبىّ

ـ أيها السادة الآن

ماذا ترون معى

إنه الآن منعطف ينزف الدم

عبر شرايين هذا الوطن

والحروف استكانت على صفحات الوهن

فماذا ترون معى..

والعروبة تذوى .. أُراها

وتسقط فى ذِلة ..

العروبة تسقط فى ذِلة !

٢٠٠٢/٤/٣

الشاعر
أحمد سويلم

* مواليد ٨ ديسمبر ١٩٤٢ بيلا ـ كفر الشيخ ـ مصر .
* بكالوريوس تجارة ١٩٦٦ .
* مدير عام النشر بدار المعارف .
* نائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر .
* عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة / عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب / عضو نقابة الصحفيين .
* جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب لشعراء الوطن العربى الشبان (١٩٦٥ / ١٩٦٦) .
* كأس القبانى فى الشعر ١٩٦٧ ـ سكرتير لتحرير مجلة الشعر (٧٦-١٩٧٧) .
* جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر ١٩٨٩ ـ الدكتوراه الفخرية فى الآداب من الأكاديمية العالمية للثقافة والفنون ١٩٩٠ «كاليفورنيا» جائزة كافافيس ١٩٩٢ .

* جائزة أندلسية للثقافة والعلوم ١٩٩٧ .

* مثل كتاب مصر وشعراءها فى المهرجانات الدولية والعربية ..

(أ) الأعمال الشعرية :

* الطريق والقلب الحائر	دار الكتاب العربى	١٩٦٧
* الهجرة من الجهات الأربع	مؤسسة التأليف والنشر	١٩٧٠
* البحث عن الدائرة المجهولة	دار النشر العربى	١٩٧٣
* الليل وذاكرة والأوراق	مكتبة مدبولى	١٩٧٧
* الخروج إلى النهر	هيئة الكتاب	١٩٨٠
* السفر والأوسمه	دار الشروق	١٩٨٥
* العطش الأكبر	مكتبة مدبولى	١٩٨٦
* الشوق فى مدائن العشق	هيئة الكتاب	١٩٨٧
* قراءة فى كتاب الليل ..	دار الشروق	١٩٨٩
* الأعمال الشعرية جـ١ (٨ دواوين)	هيئة الكتاب	١٩٩٢
* شظايا	دار الشروق	١٩٩٣
* الزمان العصى	هيئة الكتاب	١٩٩٥
* الرحيل إلى المدن الساهرة	هيئة قصور الثقافة	١٩٩٧
* لزوميات	هيئة الكتاب	١٩٩٧
* الأعمال الشعرية جـ٢ (٥ دواوين)	هيئة الكتاب	١٩٩٩
* الأعمال المسرحية جـ١ (٣ مسرحيات)	هيئة الكتاب	١٩٩٩
* جناحان إلى الجوزاء	دار قباء	٢٠٠٠
* رعشة فى الأفق	دار الشروق	٢٠٠٢

(ب) المسرح الشعرى :

* أخناتون — دار المعارف — ١٩٨٢
* شهريار — هيئة الكتاب — ١٩٨٣
* الفــارس — هيئة الكتاب — ١٩٩٥

(ج) دراســات :

* شعرنا القديم رؤية عصرية — المجلس الأعلى للثقافة — ١٩٨١
* المرأة فى شعر البياتى — هيئة الكتاب — ١٩٨٤
* أطفالنا فى عيون الشعراء — دار المعارف — ١٩٨٥
* محمد الهراوى شاعر الأطفال — المركز القومى لثقافة الطفل — ١٩٨٦
* التربية الثقافية للطفل العربى — مركز الكتاب للنشر — ١٩٩١
* مسلمون هزموا العجز — الدار المصرية اللبنانية — ١٩٩١
* عظماء أغفلهم التاريخ — الدار المصرية اللبنانية — ١٩٩٣
* مجانين العشق العربى — أخبار اليوم — ١٩٩٣
* الإعلام الشعرى فى التراث العربى — هيئة الكتاب — ١٩٩٥
* الفكر الإسلامى فى ثقافة الطفل العربى — مركز الكتاب — ١٩٩٧
* محمود سامى البارودى — الدار المصرية اللبنانية — ١٩٩٨
* قيس بن الملوح — الدار المصرية اللبنانية — ١٩٩٨
* عنترة بن شداد — الدار المصرية اللبنانية — ١٩٩٨
* شعراء العمر القصير (٢جـ) — الدار المصرية اللبنانية — ٢٠٠٠
* ديك الجن — الدار المصرية اللبنانية — ٢٠٠٢
* نوادر الشعراء فى الظرف والذكاء — الدار المصرية اللبنانية — ٢٠٠٢
* الشعراء والسلطة — دار الشروق — ٢٠٠٤

(د) الأطفال :

* حكايات من ألف ليلة وليلة (٥ حكايات)	دار الشروق	١٩٨٠
* عشر مسرحيات شعرية	مؤسسة الخليج العربى	١٩٨٧
* حكمة الأجداد (قصص ٣٠ مثلا عربيا)	مؤسسة الخليج العربى	١٩٨٩
* أبو العلاء المعرى	دار المعارف	١٩٩٣
* مدائن إسلامية (٨ كتب)	سفير	١٩٩٣
* طفولة عظماء الإسلام (٨ كتب)	سفير	١٩٩٣
* أتمنى لو (قصائد)	الهيئة العامة للكتاب	١٩٩٤
* ديوان الطفل ما قبل المدرسة	التربية والتعليم	١٩٩٥
* بستان الحكايات (١٠ قصص شعرية)	قطر الندى	١٩٩٦
* ديوان الطفل العربى جـ١	الشروق	١٩٩٧
* تعالوا نغنى حروف الهجاء	المكتب العربى للنشر	١٩٩٧
* أنا وأصدقائى (شعر)	هيئة الكتاب	٢٠٠٠
* المسرح الشعرى للأطفال (٥ مسرحيات)	دار الكتاب اللبنانى	٢٠٠٢
* فلسطينية عربية (شعر)	نهضة مصر	٢٠٠٤

قصائد الديوان

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣١٥٤ / ٢٠٠٣

I.S.B.N 977 - 01 - 8652 - X